أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم وأثرها في إبراز الإعجاز البياني للقرآن

إعداد

د / عبد المحسن أحمد محمد علي

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، فرع أسيوط

أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم وأثرها في إبراز الإعجاز البياني للقرآن

عبد المحسن أحمد محمد علي
قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر – فرع أسيوط – مصر .
البريد الإلكتروني : **dr-ali72@hotmail.com**

الملخص:

تناول الباحث في هذه الدراسة تعريف المذكر والمؤنث، وعلامات التأنيث، وأقسامه، والإشارة إلى أن الأصل في الأسماء التذكير والتأنيث فرع عنه، ثم وضح أهم تلك الأسرار، والتي منها: التغليب، سواء أكان تغليبًا للمذكر على المؤنث في سياق المدح، أو في سياق الذم، وكَوْنُ تأنيث اللفظ مجازيًا، واكتساب المؤنث التذكير من المذكر، والفصل بين الفعل وفاعله بفاصل، وتقديم فعل المؤنث على فاعله، وحمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث، وكون اللفظ اسم جنس، وورود اللفظ على وزن فعيل، وتخصيص الصفة بالموصوف دون غيره، وكون اللفظ من أسماء الجموع، ومجيء اللفظ بصيغة المصدر، ووقوع الضمير أو اسم الإشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث، والتضمين، وغير ذلك من الأسرار والحكم، ولكل هذه الأسرار شواهد كثيرة من آيات القرآن الكريم ضمنتُ البحث كثيرًا منها ، وقد تناولت هذه الأسرار في مطالب متعددة ، ثم ذيلت الدراسة بخاتمة ونتائج وفهارس شاملة .

الكلمات المفتاحية: **أسرار – العدول – التأنيث – التذكير – الإعجاز البياني.**

The secrets of declining femininity to masculinity in the Holy Quran and its impact on highlighting the statement miracle of the Qur'an

Abdul Mohsen Ahmed Muhammad Ali
Department of Interpretation and the science of Qur'an - Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Call (Da'wah) - Al-Azhar University - Assiut Branch - Egypt.
Email: dr-ali72@hotmail.com

Abstract:

In this study the researcher dealt with defining the masculine and the feminine، the signs of femininity and its divisions and indicating that the origin of the names، masculine and the feminine is a branch of it. Then he explained the most important of those secrets، which include giving preference to the male over the feminine in the context of praise or in the context of vituperating. The feminization of the word is metaphorical، the feminine acquisition of the masculinity the reminder of the masculine، the separation between the verb and its subject with a separator، the feminine verb is presented over its subject، the word is directed over the meaning in the masculinity of the feminine، and the word is a gender noun، the pronouncement of wards that is based on (Foail)، assigning the adjective to the descriptive noun only، the pronouncement being one of the names of the masses، the coming of the word in the infinitive، the occurrence of the pronoun or the noun of the sign between a subject and a

predicate، one of them is masculine and the other is feminine، the inclusion and other secrets and judgment. All these secrets have many evidence from the verses of the Noble Qur'an I have included many of them in the research، and I dealt with these secrets in multiple demands.

Key words: Secrets - Declining - Femininity - Masculinity - Statement Miracles.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وأنزل عليه الكتاب المبين، بشيرًا ونذيرًا للناس أجمعين، وهدىً ورحمةً ونورًا إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه الغُرِّ الميامين. وبعد؛؛؛

فإن من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم بلاغة أسلوبه وتناسق عباراته، وترتيب جمله، واختيار ألفاظه بدقة متناهية، ومما يعين على معرفة حسن اختيار الألفاظ القرآنية ودقتها دراسة العدول عنها إلى غيرها لزيادة فيها أو خصيصة بيانية يحتاجها السياق القرآني، وهذا العدول من الظواهر اللغوية التي تستوجب علينا الفحص والتدقيق فيه، والوقوف على أسراره ومعرفة أنواعه، سواء أكان العدول عن التأنيث إلى التذكير والعكس، أو العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع والعكس، أو العدول عن صيغ المشتقات، أو العدول عن الإضمار إلى الإظهار، أو العدول عن السياق، أو العدول بين صيغ الإفراد والتثنية والجمع، أو العدول الصرفي أو غير ذلك، وقد اخترت ظاهرة من هذه الظواهر وهي ظاهرة العدول عن التأنيث إلى التذكير، للحديث عنها والكشف عن أسرارها سواء أكانت أسرارًا معنوية أو لفظية، مستشهدًا ببعض الآيات في كل سر من الأسرار خشية الإطالة، مستعيناً في ذلك بالله أولًا ثم بكتب علوم القرآن، ثم بكتب التفسير خاصة وأن كتب علوم القرآن لم تستوعب جميع هذه الأسرار – فيما أعلم، ثم بالمؤلفات السابقة في العدول في القرآن الكريم عمومًا والله وليُّ التوفيق.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

تتضح هذه الأسباب فيما يلي:

١- الكشف عن أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم، وجمعها من بطون الكتب وعرضها بطريقة سهلة مبسطة.

٢- أن كتب علوم القرآن لم تستوعب جميع تلك الأسرار؛ لذلك أردت أن أجمع ما ذكره أصحاب هذه الكتب مضيفًا إليها ما أورده أصحاب كتب التفسير في هذا الشأن.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١- التنبيه على جانبٍ من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم وهو تذكير المؤنث لسر من أسرار العربية.

٢- بيان مسايرة الأسلوب القرآني للاستعمال اللغوي لدى العرب، وطرائقهم في كلامهم.

٣- جمع معظم أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم في سفر واحد، وبيانها على طريقة – علماء علوم القرآن، حتى يسهل على طلاب العلم الرجوع إليها والإفادة منه..

منهجي في البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك عن طريق قراءة آيات الذكر الحكيم وجمع كثير من الآيات التي ورد فيها العدول عن التأنيث إلى التذكير ووصف أسرار ذلك، والاستشهاد عليه بما أورده علماء التفسير وعلوم القرآن في كتبهم، ثم سرت في الكتابة علي ما يلي:

١- كتابة سر من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير تحت عنوان (مطلب).
٢- كتابة الآية أو الآيات التي ورد فيها العدول عن التأنيث إلى التذكير لهذا السر كأمثلة عليه وليس استيعابًا لكل الآيات التي ورد فيها تذكير المؤنث بسبب هذا الأمر خشية الإطالة.
٣- توضيح السر في العدول عن التأنيث إلى التذكير في الآية أو الآيات بأسلوبي، وذِكرُ بعض الآيات الأخرى التي ورد فيها اللفظ بصيغة التأنيث على الأصل إن وجد.
٤- نقل ما أورده علماء التفسير وعلوم القرآن في هذا السر وعزوه إلى مصدره.

خطة البحث:

لقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة عشر مطلبًا وهي كما يلي:

أما المقدمة: فذكرت فيها الدراسات السابقة، وأسباب اختيار موضوع البحث وأهميته، ومنهجي في البحث.

أما التمهيد: فتحدثت فيه عن تعريف المذكر والمؤنث، وعلامات كل منهما، وضابط التأنيث، والأصل في الأسماء.

أما المطالب فهي كما يلي:

المطلب الأول: التغليب، ويندرج تحته أمران وهما:

أولًا: تغليب المذكر على المؤنث في سياق المدح.

ثانيًا: تغليب المذكر على المؤنث في سياق الذم.

المطلب الثاني: حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث.

المطلب الثالث: كَوْنُ تأنيث اللفظ مجازيًا.

المطلب الرابع : اكتساب المؤنث التذكير من المذكر.

المطلب الخامس: الفصل بين الفعل وفاعله بفاصل.

المطلب السادس: الفصل بين الفعل وفاعله بإلا.

المطلب السابع: تقديم فعل المؤنث على فاعله.

المطلب الثامن: وقوع الضمير أو اسم الإشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث.

المطلب التاسع: كَوْن اللفظ اسم جنس.

المطلب العاشر: قصر الصفة على الموصوف.

المطلب الحادي عشر: مراعاة الفواصل.

المطلب الثاني عشر: مجيء اللفظ على صيغة المصدر.

المطلب الثالث عشر: وورد اللفظ على صيغة اسم الجمع.

المطلب الرابع عشر: وورد اللفظ على صيغة جمع القلة.

المطلب الخامس عشر: إضافة الاسم الموصوف إلى مذكر.

المطلب السادس عشر: إجراء غير العاقل مجرى العاقل في الخطاب.

أما الخاتمة، فذكرت فيها ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة، ثم أتبعت ذلك بفهرس شامل لموضوعات البحث.

التمهيد

يطيب لي قبل البدء في الحديث عن محتوى هذا البحث أن أذكر تمهيدًا أبين فيه مفهوم المذكر والمؤنث، وعلامات المؤنث؛ حتى يكون القارئ على بينة من ذلك، فأقول وبالله التوفيق:

أولًا: تعريف المذكر: هو ما ليس فيه علامة التأنيث، مثل: «رَجُلٌ».

ثانيًا: تعريف المؤنث: ما فيه علامة التأنيث، مثل: «اِمْرَأَةٌ»(١).

ثالثًا: علامة التأنيث:

للتأنيث أربع علامات وهي:

١- التَّاءُ، مثل: [«فَاطِمَةُ»] و«طَلْحَةُ».

٢- الألف المقصورة، مثل: «حُبْلَى».

٣- والألف الممدودة، مثل: «حَمْرَاءُ».

٤- والتاء المقدرة، مثل: «أَرْضٌ»، كانت في الأصل: أَرْضَةٌ، بدليل [أن تصغيرها] أُرَيْضَةٌ، لأن التصغير يرد الأسماء إلى أصلها، ويسمونه مؤنثًا سماعيًا(٢).

رابعًا: أقسام التأنيث:

الأسماء المؤنثة تنقسم إلى أربعة أقسام:

أحدها: أن يكون الاسم المؤنث فيه علامةٌ فاصلةٌ بينه وبين المذكر

---

(١) الكتاب: نحو مير = مبادئ قواعد اللغة العربية، علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، ص: ١٣.

(٢) كتاب: نحو مير = مبادئ قواعد اللغة العربية، علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف، ص: ١٣.

كقولك: خديجة وفاطمة وأُمامة وليلى وسُعدى وعفراء، فالهاء، والياء والمد فواصل المذكر والمؤنث.

القسم الثاني: أن يكون [الاسم] مُستغنيًا بقيامِ معنى التأنيث فيه عن العلامة كقولك: [زينب ونوار] وهند ودعد وفَخِذ وما أشبه ذلك، فمعنى التأنيث قائمٌ فيهن، ولا علامة للتأنيث في لفظهن.

والقسم الثالث: أن يكون الاسمُ المؤنث مخالفاً لفظه لفظ ذكره، مصوغاً للتأنيث، فيصير تأنيثه معروفاً؛ لمخالفته لفظ ذكره مستغني فيه عن العلامة؛ كقولهم: جَدْي وعَناق وحَمَل ورخْل، وحمار وأتان، فصار هذا المؤنثُ لمخالفته المذكرَ معروفاً يُغني عن العلامة.

القسم الرابع: [أن يكون الاسم الذي فيه] علامةُ التأنيث واقعاً على المذكر والمؤنث [كنعامة للذكر] والأنثى، وكذلك بقرة وجرادة، وقد يكون الاسم واقعاً على المذكر والمؤنث ولا علامة للتأنيث فيه؛ كقولهم: عقربٌ ذكرٌ، وعقربٌ أُنثى، ويقال: رأيت عقرباً على عقرب، وكذلك يقال: ضَبُعٌ ذكر، وضَبُعٌ أنثى (١).

خامسًا: ضابط التأنيث:

ضابط التأنيث ضربان:

١ – حقيقي. ٢ – اللفظي [مجازي].

فالحقيقي: ما يكون بإزائه حيوان مذكر، مثل: «اِمْرَأْةٌ» بإزائه رَجُلٌ، و«نَاقَةٌ» بإزائه جَمَلٌ.

---

(١) المذكر والمؤنث، لابن الأنباري: ٥٢/١ – ٥٨، بحذف.

واللفظي [المجازي]: **ما لا يكون بإزائه حيوان مذكر، مثل: «ظُلْمَةٌ»، و«قُوَّةٌ» [أو فيه علامة من علامات التأنيث ويدل على مذكر، مثل: «حَمْزَةٌ»] والحقيقي أقوى، ولذلك امتنع في حال السعة، "جاء هندٌ"، وجاز "طلع الشمس"، وإن كان المختار "طلعت"، فإن وقع فصل استجيز نحو قولهم: "حضر القاضي امرأة"**(١).

سادسًا: الأصل في الأسماء التذكير والتأنيث فرع:

"**الأشياء كلَّها أصلها التذكير ثم تختصَّ بعد، فكل مؤنث شيءٌ، والشيء يذكَّر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكناً، كما أنَّ النكرة هي أشد تمكناً من المعرفة، لأنَّ الأشياء إنمَّا تكون نكرةً ثم تعرف فالتذكير قبل، وهو أشد تمكناً عندهم، فالأول هو أشد تمكناً عندهم**"(٢).

"**والدليلُ على أنّ المذكّر أصلٌ أمران: أحدُهما مَجيئُهم باسم مذكّر يعُمّ المذكّرَ والمؤنّثَ، وهو شَيْءٌ. الثاني: أنّ المؤنّث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلًا، لم يفتقر إلى علامة، كالنكرة لمّا كانت أصلًا، لم تفتقر إلى علامة، والمعرفةُ لمّا كانت فرعًا، افتقرت إلى العلامة**(٣).

---

(١) شرح المفصل للزمخشري، ليعيش بن علي بن يعيش الأسدي الموصلي: ٣/٣٥٧، بتصرف.

(٢) الكتاب لسيبويه: ٣/٢٤١.

(٣) شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش الأسدي الموصلي: ٣/٣٥٢.

أسـرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم

لقد كثر العدول عن التأنيث إلى التذكير في السياق القرآني لأسرار بليغة وحِكمٍ فصيحة جريًا على لغة العرب، وسأحاول في المطالب التالية – إن شاء الله تعالى – بيان معظم هذه الأسرار إن لم يكن كلها:

المطلب الأول

التغليب

والتغليب هو: "إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاق لفظه عليهما إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين"(١)، وقد عدل الأسلوب القرآني عن المذكر إلى المؤنث لتغليب المذكر على المؤنث في الخطاب في آيات كثيرة: منها ما كان في سياق المدح ومنها ما كان في سياق الذم نذكر بعضًا منها فيما يلي:

أولًا: تغليب المذكر على المؤنث في سياق المدح:

من أمثلة ذلك قوله تعالى عن مريم ابنة عمران – ك –: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٣)، حيث قال سبحانه آمرًا لمريم – ك – بالركوع مع المصلين في بيت المقدس والمداومة على ذلك: ﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِين ﴾ بالتذكير ولم يقل مع "الراكعات" بالتأنيث من باب تغليب المذكر على المؤنث أي: صلي مع المصلين في بيت المقدس.

وقد أورد ذلك ابن حيان الأندلسي فقال: وجاء: ﴿ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾، دون الراكعات لأن هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغليب، ثم

(١) الاتقان في علوم القرآن: ١٣٥/٣.

أضاف سرين آخرين من أسرار التذكير هنا فقال: ولمناسبة أواخر الآيات قبل وبعد، ولأن الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا إنها مأمورة بصلاة الجماعة"[١].

وأضاف الطاهر بن عاشور: "وقوله: ﴿ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ إذنٌ لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء إسرائيل إظهارًا لمعنى ارتفاعها عن بقية النساء؛ ولذلك جيء في "الراكعين" بعلامة جمع التذكير"[٢].

ولابن القيم كلام بديع في سياق الآية الكريمة حيث قال: قوله تعالى: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٣) ولم يقل اسجدي مع الساجدين، فإنما عبر بالسجود عن الصلاة وأراد صلاتها في بيتها؛ لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها مع قومها ثم قال لها: ﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾، أي صلي مع المصلين في بيت المقدس، ولم يرد أيضا الركوع وحده دون أجزاء الصلاة، ولكنه عبر بالركوع عن الصلاة كما تقول: ركعت ركعتين وأربع ركعات يريد الصلاة لا الركوع بمجرده، فصارت الآية متضمنة لصلاتين صلاتها وحدها عبر عنها بالسجود لأن السجود أفضل حالات العبد، وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها ثم صلاتها في المسجد عبر عنها بالركوع لأنه في الفضل دون السجود وكذلك صلاتها مع المصلين دون صلاتها وحدها في بيتها ومحرابها وهذا نظم بديع[٣]؛ لذا فالمقصود بقوله تعالى: ﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أي صلي مع المصلين في جماعة وعبر بالمذكر دون المؤنث من باب التغليب.

---

(١) البحر المحيط: ١٤٩/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤٤/٣.

(٣) بدائع الفوائد: ٦٤/١.

ثانياً: تغليب المذكر على المؤنث في سياق الذم:

والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي:

المثال الأول: تذكير لفظ " امرأة :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٣) وقوله سبحانه: ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (الحجر: ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (النمل: ٥٧) فلفظ ﴿ الْغَابِرِينَ ﴾ في الآيات الكريمة جمع مذكر سالم، والمتحدث عنها امرأة وهي امرأة لوط – عليه السلام – فالأصل أن تكون العبارة "من الغابرات" بجمع المؤنث السالم، وإنما عدل عن ذلك تغليبًا للمذكر على المؤنث؛ لاشتراكهما في شيء واحد وهو البقاء في الهلاك حيث كان في قرية لوط – عليه السلام – رجال ونساء كفار وعصاة أهلكهم الله – تعالى – فغلَّب جانب التذكير على جانب التأنيث، في سياق الذم.

وقد أشار إلى ذلك أبو عبيدة فقال: " ﴿ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾، لأن صفة النساء مع صفة الرجال تذكّر إذا أشرك بينهما"(١)، والسيوطي فقال: قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ والأصل "من الغابرات" فعدت الأنثى من المذكر بحكم التغليب"(٢)، وأضاف الألوسي بعد أن ذكر سر التذكير وهو التغليب: "ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة وكانت تسر الكفر وتوالي أهله فهلكت كما هلكوا"(٣).

---

(١) مجاز القرآن، ص: ١٧٠.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٩٧/١.

(٣) روح المعاني: ٤٠٩/٤.

وعن سبب دخولها في الغابرين قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنْ الْغَابِرِينَ ﴾ (النمل: ٥٧)، "أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءًا لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط، ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله – ﷺ – لا كرامة لها"(١).

المثال الثاني: وصف امرأة العزيز بما يوصف به المذكر:

وذلك في قوله تعالى مخبرًا عما قاله عزيز مصر عندما تيقن من براءة يوسف – عليه السلام – وجرم امرأته وخطئها: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف: ٢٩)، حيث وصف الله – جل وعلا – امرأة العزيز بـ ﴿ الْخَاطِئِينَ ﴾ بجمع المذكر السالم وليس "الخاطئات" بجمع المؤنث السالم، وذلك لأن الخطأ يشترك فيه المذكر والمؤنث، فغلب جانب التذكير على التأنيث، والخطأ هنا وهو المراودة ليس أمرًا عاديًا أن يصدر من امرأة لأنه من شأن الرجال، لذا لما فعلت امرأة العزيز فعل الرجال وراودت يوسف – عليه السلام – عن نفسه خوطبت بما يخاطبون به، ودخلت في زمرتهم وغلب جانب التذكير على التأنيث.

وذكر ذلك أبو محمد مكي فقال: "وقال: ﴿ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾، ولم يقل: "من الخاطئات"؛ لأنه قصد الخبر عن من يعقل كلهم المذكر والمؤنث، فغلّب المذكر، أي: إنك كنت من الناس الخاطئين"(٢).

والزمخشري فقال: "قوله تعالى: ﴿ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ أي من

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦/٢٠٠.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٥٤٥، ٣٥٤٨.

جملة القوم المتعمدين للذنب، يقال: خطئ، إذا أذنب متعمداً، وإنما قال: ﴿ مِنَ الْخاطِئِينَ ﴾ بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث"[1].

ولعبد الكريم الخطيب رأي آخر له وجاهته في تذكير المؤنث هنا لكنه لا ينفي ما قاله غيره حيث قال: " وفى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ ﴾ بدلا من قوله: " إنك كنت من الخاطئات "، ليخفف على نفسها وقع هذه التهمة التي واجهها بها، فلا يجعل تلك الخطيئة مقصورة على بنات جنسها وحدهن، بل يشاركهن الرجال فيها، وهو منهم .. فلا عليها إذن أن تستغفر لذنبها هذا، الذي كان الناس– من نساء ورجال – معرّضين له .. فإذا كنت قد أخطأت فما أكثر الخاطئين قبل الخاطئات ! ..

وقد رأينا من قبل كيف أنه لم يواجهها بالتهمة فى شخصها، بل واجهها بها في بنات جنسها: ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴾ (يوسف: ٢٨) .."[2].

(١) الكشاف: ٤٦١/٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٢٦٢/٦.

المطلب الثاني

حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث

من أسرار تذكير المؤنث في القرآن الكريم حمل اللفظ المؤنث على معناه المذكر، وهذا من سنن العرب في كلامهم، وهو "ترك حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه كما يقولون: ثلاثةُ أنفس والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشّخص"(١) والقرآن الكريم جرى على هذه السنن، والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها ما يلي:

المثال الأول: تذكير "بينة":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأنعام: ١٥٧)، وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ﴾ (الأنعام: ٥٧)، حيث أسند سبحانه لفظ بينة إلى الفعل ﴿ جَاءَكُمْ ﴾ بصيغة التذكير ولم يقل "جاءتكم"، وأعاد عليها ضمير الغاب بالتذكير في الآية الأخرى حيث قال: ﴿ وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ﴾ والأصل "وكذبتم بها"، والسر في ذلك هو حمل لفظ بينة على معناه وهو البيان، وقد استعمل اللفظ مؤنثاً حملًا على اللفظ في آيات أخر منها: قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف: ٧٣)، وقوله جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ (طه: ١٣٣).

وقد أشار إلى هذا السر السمرقندي فقال: "وإنما قال: ﴿ جاءَكُمْ ﴾ ولم يقل: جاءتكم لأنه انصرف إلى المعنى يعني: البيان، ولأن الفعل مقدم"(٢).

والزجاج فقال: ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ هذه الهاء كناية عن البيان، أي وكذبتم

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ص: ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) بحر العلوم: ٤٩٦/١.

بالبيان، لأن البينة والبيان في معنى واحد، ويكون "وكذبتم به" أي بما أتيتكم به، لأنه هو البيان"[١].

وفصل القول في ذلك الشنقيطي فقال: "وقولُه: ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ ذَكَّرَ الضميرَ مع أن "البينةَ" مؤنثةٌ لفظًا نظرًا إلى المعنى؛ لأن "البينةَ" معناها البيانُ والبرهانُ واليقينُ ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ أي: ذلك البرهانُ واليقينُ الذي أنا عليه، الْمُعَبَّرُ عنه بالبينةِ، وهذا هو الظاهرُ، خلافًا لمن قال: إن الضميرَ عائدٌ إلى الله، أي: كَذَّبْتُمْ بِاللَّهِ – جل وعلا – أنه المعبودُ وحدَه – جل وعلا –" [٢].

المثال الثاني: تذكير العبرة:

وذلك في قول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ (يوسف: ١١١)، حيث ذكَّر سبحانه لفظ عبرة بإسناده إلى الفعل "كان" بالتذكير، وليس "كانت" بالتأنيث، وذلك حملًا على معنى العبرة وهو الاعتبار أي لقد كان في قصص الأنبياء اعتبار أي اتعاظ لأصحاب العقول السليمة.

وقد أشار إلى هذا الحوفي فقال: "وذكر ﴿ كَانَ ﴾ لأن ﴿ عِبْرَةٌ ﴾ بمعنى الاعتبار"[٣].

وفصَّل القول في ذلك ابن عاشور فقال: "والعبرة: اسم مصدر للاعتبار، وهو التوصل بمعرفة المشاهد المعلوم إلى معرفة الغائب وتطلق العبرة على ما يحصل به الاعتبار المذكور من إطلاق المصدر على المفعول كما هنا،

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢/٢٥٦.
(٢) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: ١/٣٦٦.
(٣) البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيِّ، سورة يوسف دارسةً وتحقيقًا، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إبراهيم عناني،ص: ٣٤٠.

ومعنى كون العبرة في قصصهم أنها مظروفة فيه ظرفية مجازية، وهي ظرفية المدلول في الدليل فهي قارة في قصصهم سواء اعتبر بها من وفق للاعتبار أم لم يعتبر لها بعض الناس"[١].

المثال الثالث: تذكير معذرة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (الروم: ٥٧)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (غافر: ٥٢)، حيث أسند الله – جل وعلا – المعذرة إلى الفعل: ﴿ يَنْفَعُ ﴾ بالتذكير والأصل تنفع بالتأنيث والسر في العدول عن التأنيث إلى التذكير هنا هو حمل اللفظ على معناه وهو الاعتذار أو العذر والمعنى: يوم لا ينفع الذين ظلموا اعتذارهم أو عذرهم وهو يوم القيامة، ووردت قراءة أخرى وهي "تَنْفَع" بالتاء وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر[٢] حملًا اللفظ وهو مؤنث.

وقد أشار إلى هذا السر الرازي فقال: "قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر لا تنفع بالتاء لتأنيث المعذرة، والباقون بالياء كأنه أريد الاعتذار"[٣]

والبيضاوي فقال بعد أن ذكر قراءة "تَنْفَعُ" بالتاء: "وقرأ الكوفيون بالياء لأن المعذرة بمعنى العذر"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: ٧١/١٣.
(٢) حجة القراءات لابن زنجلة، ص: ٥٦٢.
(٣) مفاتيح الغيب: ٥٢٤/٢٧.
(٤) أنوار التنزيل: ٢١١/٤.

وقال الطبري مشيرًا إلى هذا السر ومبينًا معنى الآية الكريمة: "وقوله: ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ (غافر: ٥٢) يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٣) .."[١].

وقد ذكر ابن عطية سرين آخرين في العدول عن التأنيث إلى التذكير هنا فقال معلقًا على قراءة ﴿ لَا يَنْفَعُ ﴾ بالياء: "وهذا لأن تأنيث المعذرة غير حقيقي، وأن الحائل قد وقع، والمعذرة: مصدر يقع كالعذر"[٢] ولا مانع أن تكون كل هذه الأمور سرًا في العدول عن التأنيث إلى التذكير في الآيتين الكريمتين.

(١) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٩٤/٤.

المطلب الثالث
كَوْنُ تأنيث اللفظ مجازياً

كثير ما يعدل السياق القرآني عن التأنيث إلى التذكير؛ لكون تأنيث اللفظ مجازيًا والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي:

المثال الأول: تذكير العاقبة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٧)، وفي قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام: ١١)، وفي قوله – جل وعلا –: ﴿ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٦)، وفي قوله – ﷻ –: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ٣٩)، وفي قوله – ﷻ –: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (يونس: ٧٣)، وفي قوله سبحانه: ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (النمل: ٦٩). وغير ذلك من الآيات، ففي هذه الآيات أسند سبحانه ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ وهي اسم مؤنث للفعل "كان" بالتذكير والأصل "كانت"، وذلك لسر من الأسرار وهو أن تأنيث العاقبة تأنيث مجازي يجوز أن يذكر كما هنا، وأن يؤنث كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (القصص: ٣٧). وقوله– جل وعلا –: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ (الأنعام: ١٣٥).

وقد أشار إلى هذا أبو محمد مكي بعد أن ذكر سببًا آخر للتذكير وهو حمل اللفظ على المعنى وهو المصير فقال: "قوله ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ﴾ (آل عمران: ١٣٧) عاقبة اسم كان، وكيف خبر كان ولم يقل كانت لأن

عاقبتهم بمعنى مصيرهم ولأن تأنيث العاقبة غير حقيقي"[1].

والسمين الحلبي قال: "قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ﴾ (آل عمران: ١٣٧) كيف «خبر مقدَّم» وعاقبة «اسمها»، ولم يُؤَنَّثْ فعلُها لأن تأنيثها غير حقيقي، وذكر سببًا آخر لتأنيث عاقبة حمل اللفظ على المعنى فقال: ولأنها بتأويل المآل والمنتهى، فإنَّ العاقبة مصدرٌ على وزن فاعِله، ... وهي منتهى الشيء وما يصير إليه، وزاد: "والعاقبة إذا أُطْلِقَتْ اختصت بالثواب، قال تعالى: ﴿ والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الذين أَسَاءُواْ السُّوأَى ﴾ (الروم: ١٠) ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النار ﴾ (الحشر: ١٧) فصَحَّ أن تكون استعارة مِنْ ضدِّه كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران: ٢١)"[2]، ولا مانع من أن يكون السر في تذكير العاقبة في الآيات التي معنا هو الحمل على المعنى وهو المصير والمأوى والمنتهي، وأن يكونالسر في ذلك – أيضًا – كون تأنيث اللفظ مجازيًا.

المثال الثاني: تذكير الشمس :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (القيامة: ٩) فلفظ "الشمس" مؤنث وإنما ذكرها – سبحانه – هنا وأسندها إلى الفعل "جُمِعَ" وليس "جمعت"؛ لأن تأنيثها مجازي يجوز فيها التذكير والتأنيث وقد أنثها الله – ﷻ – في مواضع أخر فقال: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (التكوير: ١) حيث أسندها إلى الفعل "كُوِّرَتْ" الملحق به تاء التأنيث، وقال سبحانه:

(١) مشكل إعراب القرآن: ٢٤٦/١.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥٤٨/٤.

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ (الكهف: ١٧)، مسندة إلى أفعال مؤنثة – أيضًا –، وقال – جل وعلا –: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ (الشمس: ١)، فعود ضمير الغائب المؤنث على الشمس، يدل على أنها مستعملة هنا مؤنثة.

وقد ذكر السمين الحلبي هذا السر في العدول عن التأنيث إلى التذكير عند تفسيره لهذه الآية فقال: "قوله تعالى: ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (القيامة: ٩) لم تَلْحَقْ علامةُ تأنيثٍ؛ لأنَّ التأنيثَ مجازيٌّ، وقيل: لتغليبِ التذكيرِ، وفيه نظرٌ؛ لو قلت: «قام هندٌ وزيدٌ» لم يَجُزْ عند الجمهورِ من العربِ"(١)، ونقل النحاس عند تفسيره لهذه الآية الكريمة عن محمد بن يزيد أنه قال: "هذا كلّه تأنيث غير حقيقي لأنه لم يؤنّث للفرق بين شيء وشيء، فلك تذكيره لأنه بمعنى شخص وشيء"(٢).

المثال الثالث: تذكير الساعة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (الشورى: ١٧)، فلفظ الساعة مؤنث، وأخبر عنها – سبحانه – بـ ﴿ قَرِيبٌ ﴾ بالتذكير، وليس "قريبة" بالتأنيث، والسر في ذلك هو أن تأنيث الساعة مجازي، وقد أنثها سبحانه في مواضع أخر: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (طه: ١٥)، حيث أخبر عنها بـ ﴿ آتِيَةٌ وأُخْفِيهَا ﴾ بالتأنيث، قوله: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾، حيث وصفها سبحانه بـ ﴿ قَائِمَةً ﴾ بالتأنيث، وغير ذلك من الآيات.

---

(١) الدر المصون: ٥٦٩/١٠.

(٢) إعراب القرآن: ٥٣/٥.

وقد أشار الزجاج إلى هذا فقال: "إنما جاز "قَرِيبٌ" لأن تأنيث الساعة تأنيث غير حقيقي، وهو بمعنى: لعل البعث قريب، ويجوز أن يكون على معنى لعَل مجيء السَّاعَةِ قريب"(١).

والبغوي فقال: "قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (الشورى: ١٧)، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت قريب"(٢).

المثال الرابع: تذكير لفظ النساء:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (الأحزاب: ٥٢)، حيث أسند الحق – سبحانه – النساء وهو لفظ مؤنث إلى الفعل "يَحِلُّ" بصيغة التذكير، ولم يقل "تحل" السر في ذلك هو أن تأنيث لفظ النساء مجازي.

وقد أورد هذا السر الزمخشري عند تفسيره للآية الكريمة فقال: قوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ ﴾ قرئ بالتذكير، لأنّ تأنيث الجمع غير حقيقى، وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾ (يوسف: ٣٠) كان مع الفصل أجوز"(٣)، وهناك قراءة أخرى سبعية "لَا تَحِلُّ"(٤) "على معنى لا تحل لك جماعة النساء"(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٣٩٧/٤.
(٢) تفسير البغوي: ١٤٢/٤.
(٣) الكشاف: ٥٥٢/٣، ٥٥٣.
(٤) وهي قراءة " أبو عمرو ". انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ص: ٥٧٩.
(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٢٣٤/٤.

المطلب الرابع

اكتساب المؤنث التذكير من المذكر

وذلك في حالة الإضافة إلى مذكر فكما أنه "قد يكتسب المضاف المذكر من المؤنث المضاف إليه التأنيث بشرط أن يكون المضاف صالحًا للحذف وإقامة المضاف إليه مقامه – أيضًا – ربما كان المضاف مؤنثًا فاكتسب التذكير من المذكر المضاف إليه بالشرط الذي تقدم"(١)، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

المثال الأول: تذكير رحمة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦).

فأخبر – سبحانه – عن الرحمة وهو لفظ مؤنث بـ "قريب" وهو مذكر، وذلك لأن رحمة مضافة إلى الله – ﷻ – والأصل أن توصف بـ "قريبة".

وقد أشار إلى هذا السر ابن عقيل فقال: "قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فرحمة مؤنث واكتسبت التذكير بإضافتها إلى الله – تعالى – فإن لم يصلح المضاف للحذف والاستغناء بالمضاف إليه عنه لم يجز التأنيث"(٢).

وقد ذكر الألوسي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "أن العرب تعطي المضاف حكم المضاف إليه في التذكير والتأنيث إذا صح الاستغناء عنه وهو

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤٩/٣.

(٢) المرجع السابق، نفسه.

أمر مشهور فالرحمة لإضافتها إلى الاسم الجليل قد اكتسبت ما صح الإخبار عنها بالمذكر"[١].

المثال الثاني: تذكير لفظ "كلمة":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (الزمر: ١٩)، حيث أسند "كلمة" وهي مؤنثة إلى الفعل "حَقَّ" بالتذكير، وذلك لإضافة "كلمة" إلى العذاب وهو مذكر فاكتسبت "كلمة" التذكير منه وصح أن تسند إلى الفعل "حَقَّ" بدون تاء التأنيث، مع إمكان الاستغناء عن المضاف وهو "كلمة"، وإبقاء المضاف إليه وهو "العذاب" والأصل: "حقت"، وقد أنثها الله تعالى في مواضع أخر فقال: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١)، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ٩٦)، وذلك حملًا على الأصل وهو التأنيث.

وقد أورد هذا الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية فقال: "وكلمة العذاب هي كلام الله المقتضي أن الكافر في العذاب، أي تقدير الله ذلك للكافر في وعيده المتكرر في القرآن، وتجريد فعل حق من تاء التأنيث مع أن فاعله مؤنث اللفظ وهو كلمة، لأن الفاعل اكتسب التذكير مما أضيف هو إليه نظرًا لإمكان الاستغناء عن المضاف بالمضاف إليه، فكأنه قيل: أفمن حق عليه العذاب"[٢].

---

(١) روح المعاني: ٣٨١/٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٧١/٢٣.

المطلب الخامس

الفصل بين الفعل وفاعله بفاصل

من أسرار تذكير المؤنث في القرآن الكريم الفصل بين الفعل وفاعله بكلمة أو جملة أو ضمير أو حرف، وهذا في الغالب يقع في التأنيث المجازي فيكون قد اجتمع سببان في التأنيث وهما: الفصل والتأنيث المجازي.

وقد استحسن أهل اللغة تذكير المؤنث في حالة الفصل بين الفعل وفاعله، حيث قال أبوبكر الأنباري: "اعلم أن أفعال المؤنث إذا لاصقتها كان الاختيار إثبات التاء، وكان حذفها قبيحًا؛ كقولك: قامت هند وفاطمة وعائشة، وإنما قبح؛ لأن التأنيث باب مضاد باب التذكير، فيفرق بين فعل المذكر والمؤنث لاختلافهما، فإذا فصلت بين فعل المؤنث وبينه بشيء اعتدل التذكير والتأنيث؛ كقولك: ضرب زيدا هند، وضربت زيدا هند.

فمن أنث لزم القياس، ومن ذكَّر قال: لما حجز بين الفعل والمؤنث حاجز رجع الفعل إلى أصله، والقياس التأنيث، والتذكير جائز، وكذلك تقول: وصلت إلى رقعتك، فيحسن فيه التذكير والتأنيث؛ لأنك فرقت بين الفعل والمؤنث، فإن قلت: وصلت رقعتك إلي كان التذكير قبيحًا؛ لأن المؤنث، لاصق فعله وحكي عن العرب: حضر القاضي امرأة، ويجوز: حضرت القاضي امرأة ... وقال السجستاني: حسن التذكير في هذه المسألة؛ لأنها جرت على ألسنتهم، فصارت كالمثل، وقال: إذا فصل بين المؤنث وفعله بشيء كان الحاجز بينهما عوضًا من تاء التأنيث المحذوفة، وكذلك تقول: جلست في الدار جاريتك، وجلس في الدار جاريتك، ولبست الثوب هند، ولبس الثوب هند.

وقال أبو عبيد والليث والأخفش: إذا فرق بين الفعل والمؤنث كان التذكير حسنًا؛ كقولك: تكلم في البيت أختك، واحتج أبو عبيد بقول الله – ﷻ –: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى ﴾ (الحج: ٣٨) فقال: اجتمعت القراء على تذكير الفعل، واللحوم مؤنثة لما فرق بينها وبين الفعل.

ثم قال الأنباري: وإنما صار التأنيث أجود؛ لأن الفعل إذا أتى بعد الاسم كان فيه مكنى من الاسم فاستقبحوا أن يضمروا مذكرًا، وقبله مؤنث، والذين استجازوا ذلك قالوا: نذهب إلى المعنى، وقالوا: هو في التقديم والتأخير سواء، وقال – ﷻ –: ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ (محمد: ١٨)، فذكر لأنه جمع، والجموع يجوز في فعلها التذكير والتأنيث، وكذلك: ﴿ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، و﴿ جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (البقرة: ٢١٣) .."[(١)].

والأمثلة على ذلك – غير ما ذكر أبو بكر الأنباري– كثيرة نذكر منها ما يلي:

المثال الأول: تذكير الصيحة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود: ٦٧)، حيث جاء الفاعل وهو الصيحة مؤنثًا، والفعل "أخذ" مذكر والأصل "أخذت"، والسر في تذكير المؤنث هنا هو وجود فاصل بين الفعل وفاعله وهو جملة ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهو المفعول به لأخذ، فقام الفصل مقام التأنيث، وقد وردت الصيحة مؤنثة في مواضع أخرى مع وجود الفصل حملاً على الأصل مع عدم الاعتداد بالفصل، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود: ٩٤)، وقوله: ﴿

(١) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٢/٢١٠ – ٢١٦

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ (الحجر: ٧٣)، وغير ذلك من الآيات.

وذكر هذا السر أبو محمد مكي فقال: "قوله ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (هود: ٦٧) إنما حذفت التاء من أخذ لأنه قد فرق بين المؤنث وهو "الصَّيْحَةُ" وبين فعله وهو "أَخَذَ" بقوله: ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهو مفعول أخذ فقامت التفرقة مقام التأنيث وقد قال في آخر السورة في قصة شعيب ﴿ وَأَخَذَتِ ﴾ (هود: ٩٤)، فجرى بالتأنيث على الأصل ولم يعتد بالتفرقة، وقيل: إنما حذفت التاء لأن تأنيث الصيحة غير حقيقي إذ ليس لها ذكر من لفظها وقيل إنما حذفت التاء لأنه حمل على معنى الصياح إذ الصيحة والصياح بمعنى واحد وكذلك العلة في كل ما شابهه"(١).

وبمثله قال السمين الحلبي وأضاف: "والصَّيْحة: فَعْلة تدل على المَرَّة من الصياح، وهي الصوتُ الشديد: صاح يصيح صِياحاً، أي: صوَّت بقوة"(٢).

وفصل القول في ذلك أبو جعفر الغرناطي فقال: "الآية التاسعة من سورة هود – عليه السلام –، قوله تعالى في قصة صالح: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود: ٦٧)، وقال في هذه السورة في قصة شعيب – عليه السلام –: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود: ٩٤)، يُسأل عن سقوط علامة التأنيث من الفعل في قوله: (وَأَخَذَ) في قصة صالح وثبوتها فيه في قصة شعيب مع التساوي في الفاعل وهي الصيحة والتساوي في الفصل الواقع بين الفعل وفاعله الرافع له ؟

---

(١) مشكل إعراب القرآن: ٣٦٨/١.

(٢) الدر المصون: ٣٥٠/٦.

والجواب عن ذلك: **أن التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل نحو قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حسن الحذف، ومن كلامهم حضر القاضي اليوم امرأة، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعاً، وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وهو كثير، فإن كثر الفصل ازداد حسناً، (ومنه) ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾، فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن، فجاء الفعل في الآية الأولى على الأول، ثم ورد في قصة شعيب وهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني، جمعاً بين الوجهين إذ الآيتان في سورة واحدة وتقدمها الأولى على ما ينبغي، والله أعلم"**(١).

المثال الثاني: تذكير "شفاعة":

وذلك في قوله – ﷻ –: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨)، حيث إن لفظ الشفاعة ورد مؤنثًا وهو الفاعل، و"يُقْبَلُ" مذكرًا وهو الفعل، وإنما صح إسناد لفظ شفاعة المؤنث إلى الفعل "يُؤْخَذُ" بصيغة التذكير للفصل بينهما بفاصل وهو هنا الجار والمجرور "منها".

وقد أنث الله – تعالى – لفظ "الشفاعة" في آيات أخر – مع وجود الفاصل – مراعاة للأصل وهو التأنيث، كما قال – ﷻ –: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ٢/٢٥٩، ٢٦٠.

يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ١٢٣)، وكما في قوله – جل وعلا: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (المدثر: ٤٨)، ومع عدم وجود الفاصل كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ (طه: ١٠٩)، ﴿ وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ (سبأ: ٢٣)،

وقد فصَّل ذلك الأخفش فقال: "وأما قوله: ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (البقرة: ٤٨)، وإنما ذكَّر الاسم المؤنث لأن كل مؤنث فرقت بينه وبين فعله حسن أن تذكِّر فعله، إلاّ أَنَّ ذلك يقبح في الإنس وما أشبههم مما يعقل؛ لأنَّ الذي يعقل أشد استحقاقًا للفعل، وذلك أن هذا إنما يؤنث ويذكر ليفصل بين معنيين، والموات كـ "الارض" و"الجدار" ليس بينهما معنى كنحو ما بين الرجل والمرأة، فكل ما لا يعقل يشبه بالموات، وما يعقل يشبه بالمرأة والرجل نحو قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف: ٤) لما أطاعوا صاروا كمن يعقل، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩)، فذَّكر الفعل حين فرّق بينه وبين الاسم، وقال: ﴿ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ (الحديد: ١٥)، وتقرأ ﴿ تُؤْخَذُ ﴾، وقد يقال – أيضاً – ذاك في الإنس، زعموا أنهم يقولون: "حَضَر القاضيَ امرأةٌ"، فأما فعل الجميع فقد يذكّر ويؤنث لأن تأنيث الجميع ليس بتأنيث الفصل ألا ترى أنك تؤنث جماعة المذكرّ فتقول: "هِيَ الرِّجالُ" و"هِيَ القومُ"، وتسمي رجلا بـ "بعال" فتصرفه لأن هذا تأنيثٌ مثلُ التذكير، وليس بفصل"(١).

وهناك قراءة أخرى في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ وهي "ولا تُقْبَلُ منها" بتأنيث الفعل مراعاة لتأنيث شفاعة في الأصل، وقد ذكر ابن زنجلة القراءتين ووجههما فقال: "قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ

(١) معانى القرآن: ١/٩٠.

مِنْهَا ﴾ بالتاء وقرأ الباقون بالياء، من قرأ بالتاء فلتأنيث الشفاعة وسقط السؤال فصار كقوله: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (هود: ٩٤)، وحجة من قرأ بالياء هي أن تأنيث الشفاعة ليست حقيقية فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث تقول قد قبل منك الشفاعة وقبلت منك وكذلك ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)؛ لأن معنى موعظة ووعظ وشفاعة وتشفع واحد؛ فلذلك جاز التذكير والتأنيث على اللفظ والمعنى، وحجة أخرى لما فصل بين اسم المؤنث وفعله بفاصل ذكَّر الفعل لأن الفاصل صار كالعوض منه ومثله ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ (البقرة: ١٥٠) .."[١].

المثال الثالث: تذكير " موعظة " :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، فقد حذفت تاء التأنيث من الفعل والأصل "جاءته" لوجود الفصل بين الفعل وفاعله وهو "مَوْعِظَةٌ" بالمفعول به وهو ضمير الغائب "الهاء" في "جَاءَهُ"، وقد أنث الله – ﷻ – الموعظة في موضع آخر على اعتبار أصلها وهو التأنيث فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (يونس: ٥٨).

قال السيوطي في ذلك: "وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذْفُ فيه مع الفصل حسن، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وهو كثير، فإن زاد الفصل ازداد حسناً"[٢].

---

(١) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، ص: ٩٥، ٩٦.

(٢) الكتاب: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): ٢٩٢/٣.

وقال أبو حيان – أيضًا –: "قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥] حذف تاء التأنيث من: جاءته، للفصل، ولأن تأنيث الموعظة مجازي"(١).

المثال الرابع: تذكير "الضلالة":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (الأعراف: ٣٠)، فقد ذكَّر الله تعالى الضلالة حيث أسندها إلى فعل مذكر وهو "حَقَّ"، والأصل حقت وذلك للفصل بين الفعل وفاعله بالجار والمجرور "عَلَيْهِمُ"، وأنثها في آية أخرى بإسنادها إلى فعل مؤنث على الأصل فقال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال أبو عبيدة عند تفسيره لهذه الآية: "وخرج فعل الضلالة مذكرًا والعرب تفعل ذلك إذا فرّقوا بين الفعل وبين المؤنثة لقولهم: مضى من الشهر ليلة"(٢) ..

وقد فصل الزركشي القول في ذلك فقال: "فإن قلت: ما الفرق بين قوله سبحانه: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ (النحل: ٣٦) وبين قوله: ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (الأعراف: ٣٠).

قيل: الفرق بينهما من وجهين: لفظي ومعنوي:

---

(١) البحر المحيط: ٧٠٨/٢.

(٢) مجاز القرآن: ٢١٣/١.

أما اللفظي، فهو أن الفصل بين الفعل والفاعل في قوله: ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾، أكثر منها في قوله: ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ والحذف مع كثرة الحواجز أحسن.

وأما المعنوي، فهو أن [مَنْ] في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ راجعة على الجماعة وهي مؤنثة لفظًا، بدليل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً ﴾ (النحل: ٣٦)، ثم قال: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾، أي من تلك الأمم ولو قال: [ضلت] لتعينت التاء – والكلامان واحد وإن كان معناهما واحدًا – فكان إثبات التاء أحسن من تركها لأنها ثابتة فيما هو من معنى الكلام المتأخر، وأما ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾، فالفريق مذكر ولو قال: [ضلوا] لكان بغير تاء وقوله: ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ في معناه، فجاء بغير تاء وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب أن يدعو حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم إذا كان في مركبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم"(١).

المثال الخامس: تذكير أسوة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (الممتحنة: ٦) والسر في العدول عن التأنيث إلى التذكير هنا هو الفصل بين الفعل "كان" وفاعله "أسوة" بقوله: ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴾ في الآية الأولى وقوله: ﴿ لَكُمْ فِيهِمْ ﴾ في الآية الثانية وقد أنثت "أسوة" في قوله:

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٦٩.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (الممتحنة: ٤) مراعاة للأصل وهو التأنيث مع وجود الفاصل لكن أقل من سابقه.

وقد أشار إلى هذا الكرماني فقال: " قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ وبعده ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أنث الفعل الأول مع الحائل، وذكَّر الثاني لكثرة الحائل، وإنما كرر لأن الأول في القول والثاني في الفعل وقيل الأول في إبراهيم والثاني في محمد – ﷺ –" (١).

المثال السادس: تذكير "نعمة":

وذلك في قوله تعالى عن يونس – عليه السلام –: ﴿ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ (القلم: ٤٩)، حيث ذكَّر "نعمة" بإسنادها إلى الفعل المذكر وهو "تَدَارَكَهُ"، والأصل "تداركته" للفصل بين الفعل وفاعله بحرف وهو "الهاء" وهو المفعول.

وقد أشار إلى هذا الرازي فقال: عند تفسيره لهذه الآية: "لِمَ لَمْ يقل: لولا أن تداركته نعمة من ربه ؟ الجواب: إنما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه"(٢).

وهناك أمثلة أخرى كثيرة ذكر فيها المؤنث للفصل بين الفعل وفاعله بفاصل منها قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (البقرة: ٢١٢)، حيث قال – سبحانه –: ﴿ زُيِّنَ ﴾ على التذكير، ولم يقل: "زينت" بالتأنيث، وقد أنثها – سبحانه – في آيات أخرى مراعاة لأصلها، في قوله تعالى:

---

(١) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ٢٣٦.

(٢) مفاتيح الغيب: ٦١٧/٣٠.

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (الأنعام: ٧٠)، وقوله سبحانه: ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (لقمان: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (غافر: ٥٢)، والأصل تنفع، لكن لما فصل بين الفعل وهو "ينفع"، وفاعله وهو "معذرة" بالمفعول به وهو "الظَّالِمِينَ" جاز التذكير.

ومنها كذلك تذكير الحجة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ (البقرة: ١٥٠)، وقوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (النساء: ١٦٥، الجاثية: ٢٥)، حيث ذكر حجة هنا بإسنادها إلى الفعل المذكر "يكون" للفصل بينهما، وقد أنثها الله تعالى في مواضع أخر على اعتبار الأصل وهو التأنيث فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى: ١٧)، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (الأنعام: ١٤٩)، حيث وصف الحجة في الآية الأولى بـ ﴿ دَاحِضَةٌ ﴾، وفي الثانية بـ ﴿ الْبَالِغَةُ ﴾ وهما مؤنثان فدل على أن موصوفهما مؤنث.

المطلب السادس

الفصل بين الفعل وفاعله بإلا

"فإذا كان الفاعل مؤنثًا ووقع بعد "إلا" فتذكير الفعل أفصح"(١)، فيكون الفاعل مذكرًا، وهو أخص من السبب السابق، وهو قاعدة عند العرب لا يجوز خلافها، أما السبب السابق فيجوز التأنيث فيه مع وجود الفاصل حملًا على الأصل وهو التأنيث.

مثال ذلك تذكير مساكن في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ ﴾ (الأحقاف: ٢٥) حيث أسند الله – جل وعلا – المساكن إلى الفعل وهو "يُرَى" بالتذكير ولم يقل: "تُرَى" بالتأنيث، وقد أنثها الله تعالى في موضع أخرى لكن ليست فاعلًا ولم تسبق بإلا فقال: ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (القصص: ٥٨).

وقد أشار الفراء إلى هذا السر فقال: "قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرى إِلَّا مَساكِنُهُمْ ﴾ وبيان [ذلك] أن العرب إذَا جعلت فِعل المؤنث قبل إلا ذكروه فقالوا: لم يقم إلا جاريتك"(٢)،

وقد فصله الطبري فقال: قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ ﴾ (الأحقاف: ٢٥) العرب تذكِّر الأفعال التي قبل إلا وإن كانت الأسماء التي بعدها أسماء إناث، فتقول: ما قام إلا أختك، ما جاءني إلا جاريتك، ولا

(١) دراسات لأسلوب القرآن: ٤٢٢/٨.
(٢) معاني القرآن: ٣٢١/٣، بتصرف.

يكادون يقولون: ما جاءتني إلا جاريتك، وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد، أو شيء واحد، وشيء يذكر فعلهما العرب، وإن عنى بهما المؤنث، فتقول: إن جاءك منهنّ أحد فأكرمه، ولا يقولون: إن جاءتك"(١).

(١) تفسير الطبري: ٢٢/١٣٠.

المطلب السابع

تقديم فعل المؤنث على فاعله

من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في السياق القرآني تقديم فعل المؤنث على فاعله فحينئذ يذكر الفعل فيكون فاعله مذكراً، ويجوز التأنيث مراعاة للأصل.

قال الفراء: "إِذَا كَانَ الفاعل فِي مذهب مصدرًا مؤنثًا مثل العاقبة، والموعظة، والعافية، فإنك إِذَا قدّمت فعله قبله جاز تذكيره وتأنيثه"(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي:

المثال الأول: تذكير القلوب:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ (التوبة: ١١٧)، حيث ذكَّر سبحانه القلوب بإسنادها إلى فعل مذكر "يَزِيغُ" لتقديم الفعل على فاعله، وقد أنث الله – تعالى – القلوب في مواضع أخر مراعاة للأصل وهو التأنيث وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ (الزمر: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ (الأحزاب: ١٠).

وقد أشار السمرقندي إلى هذا فقال: "قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص "يَزِيغُ قُلُوبُ" بالياء بلفظ التذكير، والباقون بالتاء بلفظ التأنيث(٢). ولفظ التأنيث إذا لم يكن حقيقيًا، جاز التأنيث والتذكير، لأن الفعل مقدم فيجوز

---

(١) معاني القرآن: ٣٥٦/١، ٥٠١/١، بتصرف.

(٢) انظر: السبعة في القراءات، ص: ٣١٩.

التذكير والتأنيث"[1]، فقراءة التذكير لتقديم الفعل، ولسر آخر أشار إليه السمرقندي وهو أن تأنيث القلوب مجازي.

وقد فصل القول في ذلك ابن زنجلة فقال: "قَرَأَ حَمْزَة وَحَفْص ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيْغُ قُلُوبُ ﴾ بِالْيَاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ ... ثم قال: اعْلَم أَن فعل جمَاعَة يتَقَدَّم لمذكر أَو مؤنث إِن شِئْت أنثت فعله إِذا قَدمته وَإِن شِئْت ذكرته كَمَا قَالَ – ﷻ –: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾ (الحج: ٣٧)، و﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ (الأحزاب: ٥٢) فَإِذا أنثت أردْت جمَاعَة وَإِذا ذكرت أردْت جمعًا وَمن قَرَأَ ﴿ يَزِيْغُ ﴾ بِالْيَاءِ جعل فِي كَاد اسْما وترتفع الْقُلُوب بـ ﴿ يَزِيْغُ ﴾ وَالتَّقْدِير كَاد الْأَمر يزِيغ قُلُوب فريق مِنْهُم وَإِنَّمَا قَدرنَا هَذَا التَّقْدِير لِأَن كَاد فعل ويزيغ فعل وَالْفِعْل لَا يَلِي الْفِعْل وعَلى هَذِه الْقِرَاءَة لَا يجوز أَن يرْتَفع الْقُلُوب بـ كَاد وَمن قَرَأَ بِالتَّاءِ ارْتَفَعت الْقُلُوب بكَاد.

ثم أورد مسألة في الآية وأجاب عليها فقال: "فَإِن قيل لم أَنَّث تزِيغ وَلم تؤنث كَاد وهما فعلان ؟

الْجَواب: قَالَ الْفراء: ﴿ كَادَ ﴾ فعل و"تزِيغ" فعل فلك أَن تذكرهما جَمِيعًا وَلَك أَن تؤنثهما جَمِيعًا فَلَمَّا كَانَ لَك الْوَجْهَانِ ذكرت الأول لِأَن بعده فعلا آخر مُلْتَزما بالقلوب فَذكرت الأول لِأَنَّهُ تبَاعد من الْقُلُوب وأنثت الَّذِي بِجنب الْقُلُوب، قَالَ آخَرُونَ ﴿ كَادَ ﴾ لَيْسَ بِفعل متصرف ولا يكادون يقولون منه فاعلًا ولا مفعولًا به فذكرته وأنثت "تزِيغ" لِأَنَّهُ فعل مُسْتَقْبل متصرف"[2].

---

(١) بحر العلوم: ٩٣/٢.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٥ ، ٣٢٦.

المثال الثاني: تذكير الصلاة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (الأنفال: ٣٥) حيث أسند سبحانه الصلاة إلى الفعل "كان" بالتذكير ولم يقل "كانت" بتاء التأنيث، مع أن اللفظ مؤنث وذلك لتقديم فعل المؤنث على فاعله فاكتسب التذكير من فعله، وقد أنث الله تعالى الصلاة في مواضع آخر فقال: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (النساء: ١٠٣)، وقوله: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ (المائدة: ٥٨).

وقد "قال ابن فارس مشيرًا إلى أن تقديم فعل المؤنث على فاعله سر من أسرار تذكير المؤنث: "باب تقديم فعل تقديم فعل المؤنث، تقول: "كانت صلاتك حسنة"، ويجوز: "كان صلاتك"، وفي كتاب الله- جل ثناؤه -: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً ﴾"[(١)]، والمعنى: "وما كان دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة، أو ما يضعون موضعها "إِلَّا مُكَاءً" أي صفيرًا، "وَتَصْدِيَةً" أي تصفيقًا"[(٢)].

---

(١) المذكر والمؤنث لأبي الحسين أحمد بن فارس، ص: ٥٤، ط: الأولى، القاهرة ١٩٦٩م، تحقيق: د/ رمضان عبد التواب.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٥٨/٣، بتلخيص.

المطلب الثامن
وقوع الضمير أو اسم الإشارة بين مبتدأ
وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث

وقد أشار السيوطي إلى هذا السر فقال: "وحيث وقع ضميرٌ أو إشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذَكَّر والآخر مؤنث، جاز في الضمير والإشارة التذكير والتأنيث، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ (الكهف: ٩٨)، فذُكِّر والخبر مؤنث لتقدم السَّدِّ[١] وهو مذَكّر، وقوله تعالى: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (القصص: ٣٢)، ذُكِّر والمشار إليه اليد والعصا، وهما مؤنثان لتذكير الخبر وهو برهانان[٢].

(١) يقصد السد المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ (الكهف: ٩٤)، وهو المشار إليه بـ "هذا" في الآية التي معنا.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٤٧١/٣.

المطلب التاسع

كَوْن اللفظ اسم جنس

اسم الجنس هو "ما كان شائعًا بين كلّ فرد من أفراد الجنس ولا يختص بواحد دون غيره، مثل رجل وامرأة وكتاب وحصان[(١)]، قال السيوطي: "وكل أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملًا على الجنس والتأنيث حملًا على الجماعة كقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (القمر: ٢٠)"[(٢)]، وجاء في الكشف والبيان: "وقد سأل السائل قال: ما الفرق بين قوله: ﴿ جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ ﴾ وقوله: ﴿ ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً ﴾ وقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ ﴾، ﴿ وكَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب فلك أن تردّه إلى اللفظ تذكيرًا، ولك أن ترده إلى المعنى تأنيثًا"[(٣)].

والأمثلة كثيرة منها:

المثال الأول: تذكير السماء :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ (المزمل: ١٨)، فالسماء هنا مستعملة مذكرًا حيث وُصفت بمذكر وهو "مُنْفَطِرٌ" ولم يقل منفطرة بالتأنيث والسر في العدول عن التأنيث إلى التذكير هو كون السماء اسم جنس يجوز فيها التذكير والتأنيث، وهنا ذُكِّرت، وأيضًا ورد اللفظ مذكرًا في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ (الأنبياء: ٣٢) ولم يقل محفوظة بالتأنيث لكون السماء اسم جنس فتارة يعدل الله تعالى عن التأنيث إلى التذكير كما

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٤٠٥/١، بزيادة.
(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٤٧١/٣.
(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٦٦/٩.

هنا، وتارة يؤنث اللفظ على الأصل كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (الانشقاق: ١، ٢)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (الحجر: ١٦، ١٧).

وقد أشار الثعلبي إلى هذا السر فقال: "قوله – ﷻ –: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ (المزمل: ١٨): وقد يجوز أن يكون تذكيرهم إياها؛ لأنها من الأسماء التي لا فصل فيها بين مؤنثها ومذكرها، أي أنها من أسماء الجنس"(١).

وفصَّل القول في ذلك الراغب الأصفهاني فقال: "وقال: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ (المزمل: ١٨)، فذكّر، وقال: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق: ١)، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ (الانفطار: ١)، فأنّث، ووجه ذلك أنها كالنّخل في الشجر، وما يجري مجراه من أسماء الجنس الذي يذكّر ويؤنّث، ويخبر عنه بلفظ الواحد والجمع، والسماء الذي هو المطر يذكّر، ويجمع على أسمية، والسَّمَاوَةُ الشّخص العالي"(٢).

المثال الثاني: تذكير النخل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (القمر: ٢٠) حيث ذكَّر لفظ النخل حين وصفه بمذكر وهو لفظ "مُنْقَعِرٍ" فعدل هنا عن التأنيث إلى التذكير لأن النخل اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه وجاء هنا مذكرًا لهذا السر، وقد أنثه في آيات أُخر على معنى جماعة النخل منها قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٧)، وقوله

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: ١٦٦/٩.
(٢) المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٢٧.

– سبحانه –: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾، وقوله – جل وعلا –: ﴿ وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ (الأنعام: ٩٩).

وقد أشار الزجاج إلى هذا فقال: قوله – ﷻ –: ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (القمر: ٢٠) "كَأَنَّهُمْ" ههنا في موضع الحال، والمعنى تنزع الناس مشبهين النخل المنقعر، فالمنقعر المقطوع من أصوله، وكانت الريح تكبهم على وجوههم، وقوله: ﴿ مُنْقَعِرٍ ﴾ النخل يذكر ويؤنث، يقال: هذا نخل، وهذه نخل، فمنقعر على من قال: هذا نخل، ومن قال: هذه نخل، فمثل قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٧)[١].

والسمين الحلبي فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ (ق: ١٠): "قوله تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ ﴾ النخل معروف، وهو اسم جنسٍ يفرق بين واحده وجمعه بالتاء، ويذكر ويؤنث، فمن التذكير قوله: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (القمر: ٢٠) ومن التأنيث ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٧) ويجمع على نخيلٍ أيضًا"[٢]، وبمثله قال القرطبي[٣]، والألوسي أيضًا[٤].

المثال الثالث: تذكير البقر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة: ٧٠)، حيث قال – سبحانه –: "تَشَابَهَ" بالتذكير ولم يقل: "تشابهت" وعدل عن ذلك لأنه اسم جنس، يذكر ويؤنث وجاء هنا بالتذكير.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٨٩.
(٢) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، ص: ٤٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٧/١٧.
(٤) روح المعاني: ٨٦/١٤.

وقد أشار الكرماني إلى هذا فقال: "قوله: ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾، ذكَّر الفعل حملاً على الجنس"(١)، وقال الألوسي عند تفسيره لهذه الآية: "والبقر اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء ومثله يجوز تذكيره وتأنيثه"، وقال الزجاج عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه: (والعرب تقول في جمع البقر والجمال، الباقر والجامل، يجعلونه اسمًا للجنس، ما كان مثل بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وسحابة وسحاب، فإن العرب، تذكره، وتؤنثه، فتقول هذا بقر وهذه بقر، وهذا نخل وهذه نخل، فمن ذكر فلأن في لفظ الجمع أن يعبر عن جنسه فيقال: فتقول هذا جمع، وفي لفظه أن يعبر عن الفرقة والقطعة، فتقول هذه جماعة وهذه فرقة)(٢).

(١) الكتاب: غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٤٧/١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١٥٤/١، ١٥٥.

المطلب العاشر

قصر الصفة على الموصوف

من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم كون الصفة مقصورة على الموصوف المؤنث في الاستعمال فلا تتعداه إلى غيره، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي:

المثال الأول: تذكير لفظ الريح:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٦). وقوله – سبحانه –: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ (فصلت: ١٦)، وقوله – جل وعلا –: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ (القمر: ١٩)، حيث إن لفظ الريح مؤنث، ووصف بمذكر وهو "صرصر" وليس "صرصرة" لكون هذه الوصف لا يطلق إلا على الريح فقط، وقد أُنثت الريح حين وصفت بمؤنث في قوله تعالى: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس: ٢٢) وهو لفظ: "طَيِّبَةٍ"، لكون الصفة غير قاصرة على الموصوف بل يوصف بها غيره مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ (التوبة: ٧٢)، ووصفت الريح في نفس الآية بمذكر وهو لفظ "عَاصِفٌ"، لكون العصف – أيضًا – قاصر على الريح.

قال أبو عبد الله الرازي: "فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ ولم يقل صرصرة، كما قال تعالى: ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ وهو صفة لمؤنث، لأنها الشديدة الصوت أو الشديدة البرد ؟ قلنا: لأن الصرصر وصفه مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبه باب حائض وطامث وحامل، بخلاف عاتية

فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به"[١].

المثال الثاني: تذكير لفظ البقرة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ ﴾ (البقرة: ٦٨)، حيث ذكَّر الله تعالى لفظ "البقرة" حين وصفها بمذكر وهو "فارِضٌ" والأصل التأنيث فتوصف بـ "فارضة" وإنما ذكرت لكون وصف فارض خاص بالإناث دون الذكور.

قال المقدسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة، والفارِضُ: المُسِنَّةُ التي لا تلدُ، والبكرُ: الفتاةُ الصغيرةُ التي لم تلدْ قَطُّ، وحُذفت الهاءُ منهما للاختصاصِ بالإناث؛ كالحائض[٢]، وبمثله قال الشوكاني[٣].

---

(١) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، ص: ٥٣٦ ، وانظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحي الأنصاري، ص: ٥٧٨.

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن: ١٢٧/١.

(٣) فتح القدير: ٨٢/١.

المطلب الحادي عشر
مراعاة الفواصل

"الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها وتُكرر في السورة تكررًا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آياته كثيرة متماثلة، تكثر وتقل"(١).

ومن أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في السياق القرآني مراعاة الفواصل، فاللفظ أحيانًا يكون من حقه التأنيث لكنه يأتي مذكرًا مراعاة للفواصل في السورة الكريمة وهذا من بليغ الكلام، مثال ذلك قوله تعالى عن مريم ابنة عمران – ك –: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ حيث وصفها الله تعالى بجمع المذكر السالم "الْقَانِتِينَ" والأصل "القانتات" رعاية لفواصل الآيات التي قبلها مباشرة حيث إنها ختمت بصيغة جمع المذكر السالم، وهو وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فقال: "إن قلتَ: القياسُ من القانتات، فلِمَ عَدَل عنه إلى القانتينَ ؟ قلتُ: رعايةً للفواصل"(٢).

وقيل: السر العدول عن التأنيث إلى التذكير في الآية الكريمة هو تغليب المذكر على المؤنث جريًا على لغة العرب في ذلك فقد أطبق "أهل اللسان العربي على تغليب الذكر على الأنثى في الجمع، فلما أراد أن يبين أن مريم من عباد الله القانتين وكان منهم ذكور وإناث غلب الذكور كما هو الواجب

(١) التحرير والتنوير: ١/٧٥.
(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص: ٥٧٥.

في اللغة العربية، ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف: ٢٩)، وقوله: ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (النمل: ٤٣)[١]، وأقول: لا مانع أن يكون السر في ذلك الأمرين معًا: رعاية الفواصل والتغليب.

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص: ٢٤١.

المطلب الثاني عشر

مجيء اللفظ على صيغة المصدر

من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير كون اللفظ مصدرًا وذلك "لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم، فيجوز تذكيرُ ما خرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه"(١).

المثال الأول: تذكير "بعيد":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (ق: ٣١) حيث ورد لفظ "بَعِيدٍ" بالتذكير والأصل بعيدة لأنه وصف لمؤنث وهو "الْجَنَّةُ" والصفة تتبع الموصوف تذكيرًا وتأنيثًا، والسر في العدول عن التأنيث إلى التذكير هنا هو وورد اللفظ بصيغة المصدر، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦).

وقد أشار إلى هذا الزمخشري فقال: ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ" نصب على الظرف، أي: مكانًا غير بعيد، أو على الحال، وتذكيره لأنه على زنة المصدر، كالزئير والصليل، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث"(٢).

وبمثله قال شيخ الإسلام زكريا النصاري(٣).

المثال الثاني: تذكير الحياة:

---

(١) جامع البيان للطبري: ١٤٦/٧، ١٤٧.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٦٧/٣.

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، ص: ٥٣٣.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (البقرة: ٢١٢) حيث إن لفظ الحياة مؤنث لكن أسند إلى الفعل "زُيِّنَ" بالتذكير وليس "زينت" بالتأنيث، وذلك لأن الحياة مصدر يجوز فيها التذكير والتأنيث، وهنا ذُكِّرت.

وقد أشار الواحدي إلى هذا فقال: قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ الآية، إنما لم يقل: "زُيِّنت"؛ لأن الحياة مصدر، فذهب إلى تذكير المصدر"(١).

وقد ذكر الزجاج سرين آخرين لتذكير الحياة في الآية الكريمة فقال: "و"زُيِّنَ" جاز فيه لفظ التذكير، ولو كانت زُيِّنَت لكان صواباً، وزين صواب حسن، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، لأن معنى الحياة ومعنى العيش واحد، وقد فُصِلَ أيضاً بين الفعل وبين الاسم المؤنث(٢). وأقول: لا مانع أن تكون كل هذه الأمور سرًا في العدول التأنيث إلى التذكير في الآية الكريمة، والله أعلم.

المثال الثالث: تذكير الخِيَرة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٣٦)، حيث وقعت الخيرة اسمًا لـ "كان" بالتذكير في الآية الأولى، وليكون بالتذكير في الآية الثانية، والأصل كانت وتكون، والسر في ذلك أن الخيرة مصدر بمعنى الاختيار أو التَخيُّر، يجوز فيها التذكير والتأنيث، ووردت هنا بالتذكير على أحد الوجهين في

(١) التفسير البسيط: ٤/١٠٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١/٢٨١.

القراءة، ووردت مؤنثة على الوجه الآخر في قراءة أخرى متواترة، حيث قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو، ونافع: «أن تَكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» بالتاء [1].

وقد ذكر هذا السر القرطبي فقال: "قوله تعالى: ﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ قرأ الكوفيون: "أن يكون" بالياء، وهو اختيار أبي عبيد، لأنه قد فرق بين المؤنث وبين فعله، الباقون بالتاء، لأن اللفظ مؤنث فتأنيث فعله حسن، والتذكير على أن الخيرة بمعنى التخيير، فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار"[2].

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص: ٥٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/١٤.

المطلب الثالث عشر

وورد اللفظ على صيغة اسم الجمع

من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في السياق القرآني مجئ اللفظ بصيغة اسم الجمع وهو: " ما تضمّن معنى الجمع، ولكن لا واحد له نحو: [جيش وقوم ونساء وشعب ...]. ولك الخيار في أن تعامله معاملة المفرد، أو معاملة الجمع، فتقول مثلاً: النساء سافرت، والنساء سافَرْنَ، والقوم رحل، والقوم رحلوا[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

المثال الأول: تذكير لفظ نسوة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (يوسف: ٣٠)، فإن لفظ نسوة مؤنث، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه لكن من معناه وهو "امرأة" وأسنده إلى الفعل "قال" مجرداً من تاء التأنيث، والأصل أن يقال: "قالت"، وإنما عدل عن التأنيث إلى التذكير لسر من الأسرار وهو أن لفظ "نسوة" اسم جمع لا واحد له من لفظه فيجوز تذكيره.

وقد أشار إلى هذا السر ابن عطية فقال: "ذكَّر الفعل المسند إلى «النسوة» لتذكير اسم الجمع ونِسْوَةٌ جمع قلة لا واحد له من لفظه، وجمع التكثير نساء، ونِسْوَةٌ فعلة"[2].

---

(١) قواعد اللغة العربية (الكفاف)، أ/ يوسف الصيداوي، ص: ٥٦، دار الفكر، ط: الأولى (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

(٢) المحرر الوجيز: ٢٣٧/٣.

وقيل: السر في تذكير النسوة هو أن تأنيثه مجازي، حيث قال الزمخشري عند تفسير لهذه الآية: "والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتأنيث اللمة، ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث"(١)،

ولا مانع أن يكون السر في العدول عن التأنيث إلى التذكير في الآية الكريمة الأمرين معًا.

المثال الثاني: تذكير لفظ الأنعام:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (الأنعام: ٦٦)، فالأنعام لفظ مؤنث، وعاد الضمير عليه في "بُطُونِهِ" بالتذكير، وذلك لأن الأنعام اسم لا واحد له من لفظه، يذكر تارة ويؤنث أخرى، وقد أنثه الله – تعالى – في موضع آخر مراعاة لمعناه فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ (المؤمنون: ٢١).

وأورد هذا السر الألوسى فقال: "والضمير في «بطونه» يعود للأنعام، وهو اسم جمع، واسم الجمع يجوز تذكيره وإفراده باعتبار لفظه، ويجوز تأنيثه وجمعه باعتبار معناه ..."(٢).

وفصله عبد القادر العاني فقال: "قوله تعالى: ﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ (الأنعام: ٦٦)، ذكَّر الضمير وهو مؤنث لأن لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع، فكان ضميره ضمير الواحد المذكر بحسب اللفظ وبحسب المعنى جمع، فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث، ولهذا المعنى ذكره هنا وأنثه

(١) الكشاف: ٤٦٢/٢.

(٢) انظر روح المعاني: ٤١٤/٧.

في سورة المؤمنين في الآية ٢٣ في نظير هذه الآية، والأنعام اسم جمع وكل ما كان كذلك يجوز فيه التذكير والتأنيث والجمع والإفراد من حيث اللفظ والمعنى، كالخيل والإبل والغنم وغيرها من أسماء الأجناس التي لا واحد لها من لفظها"[١]، وبمثله قال الخطيب الشربيني[٢].

(١) بيان المعاني: ٢٣٢/٤.

(٢) السراج المنير: ٢٤٢/٢.

المطلب الرابع عشر

وورد اللفظ على صيغة جمع القلة[١]

جمع القلة هو: "الذي يطلق على عشرة فما دونها بغير قرينة وعلى ما فوقها بقرينة" [٢]، "تقول في جمع القلة: قام الهندات، وفي جمع الكثرة: قامت الهنود، فتذكر الفعل إذا أردت القلة، وتؤنثه إذا أردت الكثرة ... إنما خصوا فعل الجمع القليل بالتذكير، وفعل الجمع الكثير بالتأنيث؛ لأن القليل قبل الكثير؛ كما أن المذكر قبل المؤنث، فجعلوا للقليل التذكير؛ لأنه يشاكله، وجعلوا للكثير التأنيث؛ لأنه يشاكله"[٣].

ومثال ما ورد مذكرا لهذا السر تذكير الأشهر في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (التوبة: ٥). حيث قال سبحانه: ﴿ انْسَلَخَ ﴾ بالتذكير ولم يقل "انسلخت" وذلك لكون اللفظ جمع قلة، جريًا على سنة العرب في ذلك.

وقد أشار إلى هذا السر ابن زنجلة فقال: "الْعرب تذكر فعل الْمُؤَنَّث إِذا كَانَ قَلِيلا كَقَوْلِه: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ وَلم يقل انسلخت، وَقَوله: ﴿ وَقَالَ نسْوَة ﴾ (يوسف: ٣٠)، وَلم يقل وَقَالَت"[٤].

ويجوز أن يكون السر في تذكير الأشهر في الآية الكريمة تقديم الفعل

---

(١) صيغ جمع القلة هي: أَفْعِلة، وأفعُل، وفِعلة، وأفعَال. انظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٦٢٨/٤.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص: ٢٥٣.

(٣) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٢١٠/١ بحذف.

(٤) حجة القراءات، ص: ٤٤٨.

على فاعله المؤنث، فاكتسب التذكير.

وقد ورد لفظ الأشهر مذكرًا بدلالة تأنيث العدد معه في آيات أخر منها قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٦)، وقوله – جل وعلا –: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (البقرة: ٢٣٤)، وقوله سبحانه: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ (الطلاق: ٤).

المطلب الخامس عشر

إضافة الاسم الموصوف إلى مذكر

من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في السياق القرآني، إضافة الاسم الموصوف إلى مذكر فتكتسب الصفة التذكير من المضاف إليه بالمجاورة، وهذا جريًا على عادة العرب في تذكير صفة المؤنث إذا أضيف الموصوف إلى مذكر، وتأنيث صفة المذكر إذا أضيف الموصوف إلى مؤنث، مثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (الشعراء: ٤)، حيث ذكَّر سبحانه الصفة وهي: "خَاضِعِينَ" والأصل "خاضعات"؛ لأنها صفة للأعناق وهي مؤنثة، وقد أسندها – جل وعلا – إلى فعل مؤنث قبلها وهو "فَظَلَّتْ"، والسر في هذا هو إضافة الموصوف إلى مذكر وهو ضمير الغائب "هم" فاكتسبت الصفة التذكير بمجاورتها للمذكر.

وقد أشار إلى هذا السر البغوي عند تفسيره لهذه الآية فقال: "قال قوم[١]: ذكَّر الصفة لمجاورتها المذكر وهو قوله: "هم"، على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه الى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه الى مؤنّث[٢].

(١) ممن قال بهذا الأخفش في معاني القرآن: ٢/٤٦٠.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٧/١٥٧، ١٥٨.

المطلب السادس عشر

إجراء غير العاقل مجرى العاقل في الخطاب

من أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير إجراء الاسم غير العاقل مجرى الاسم العاقل في الخطاب والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

المثال الأول: تذكير لفظ "النمل":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨).

فلفظ النمل جمع تكسير مفرده نملة وهي مؤنثة، فهو مؤنث- أيضًا -، ولكن خوطب النمل في الآية بما يخاطب به المذكر في: "ادْخُلُوا" و"مَسَاكِنَكُمْ" "يَحْطِمَنَّكُمْ"، وليس "ادخلن" و"مساكنكن"، و"يحطمنكن" والسر في ذلك هو أنه أجري غير العاقل وهو النمل مجرى العاقل وهو الناس أو الإنسان.

وقد أشار إلى هذا السر أبو بكر الأنباري فقال: "فإن قال قائل: كيف قال جل ثناؤه: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (النمل: ١٨) فأدخل الواو في جمع المؤنث، ولم يقل ادخلن مساكنكن ؟

قيل له: لما خبَّر عن النمل بالقول، والقول سبيله أن يكون للناس أجراهن مجرى الناس"(١).

وفصله المظهري فقال: "قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ ﴾ لم يقل ادخلن لأن الإنسان إذا تكلم وهو يرى غيره من الحيوانات غير عاقلة فيجعل لها ضمائر الجمادات كما يجعل للنساء ضمائرها إلحاقًا اياهن بغير

---

(١) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٢/٢١٠ – ٢١٦، وانظر: معالم التنزيل: ١٥١/٦، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة: ١٨٥/٤.

ذوى العقول لضعف عقولهن واما الحيوانات إذا تكلم بعضها بعضا ترى أنفسها من ذوى العقول فتخاطب العقلاء فحكى الله – سبحانه – قول النملة كما قالت[(١)].

المثال الثاني: تذكير الجلود:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (فصلت: ٢١) فلما أجريت الجلود إجراء من يعقل في النطق والشهادة والقول، أسندت إليها الأفعال بالتذكير "شَهِدْتُمْ"، "قَالُوا أَنْطَقَنَا" وليس "شهدتن"، "وقالت".

وقد نص على هذا السر أبو حيان الأندلسي فقال عند تفسيره لهذه الآية: "ولما صدر منها ما صدر من العقلاء، وهي الشهادة، خاطبوها بقولهم: لم شهدتم؟ مخاطبة العقلاء"[(٢)].

والألوسي فقال عند تفسيره لهذه الآية: "صيغة جمع العقلاء في "شَهِدْتُمْ" وما بعد مع أن المراد منه ليس من ذوي العقول لوقوع ذلك في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء"[(٣)].

المثال الثالث: تذكير الأصنام:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِين قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (الشعراء: ٧١ – ٧٣)، فلفظ الأصنام ورد في الآية مذكراً لأن "الكفار لما عبدوها وعظموها ورجوها في

---

(١) التفسير المظهري: ١٠٦/٧.

(٢) البحر المحيط: ٢٩٩/٩

(٣) روح المعاني: ٣٦٨/١٢، وانظر: التفسير البسيط للواحدي: ٤٤٦/٣، ومفاتيح الغيب للرازي: ١٤١/٤، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ١٠٧/٣.

طلب المنافع ودفع المضار نزلت منزلة الأحياء العقلاء في اعتقاد الكفار"[١] لذا أسندت إليها الأفعال بصيغة التذكير "يَسْمَعُونَكُمْ"، "يَنْفَعُونَكُمْ"، "يَضُرُّونَ".

وقد أشار إلى هذا السر أبو بكر الأنباري فقال بعد أن ذكر السر في تذكير النمل – كما سبق –: "وكذلك قال – ﷻ – عن الأصنام: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (الشعراء: ٧٢، ٧٣) (لما ذكرنا من أنهن إذا وصفن بأوصاف الناس جرين مجرى الناس)[٢].

المثال الثالث: تذكير الكوكب والشمس والقمر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف: ٤) حيث وُصفت هذه الأشياء بـ "سَاجِدِينَ" وهي جمع مذكر سالم وليس "ساجدات" بجمع المؤنث السالم، والأصل ساجدات أي أن هذه الأشياء أو النجوم ساجدات، وإنما وُصفت بمذكر لأنها أجريت مجرى العاقل وهو الإنسان لأنه هو الذي يقع منه السجود.

وقد أشار إلى هذا السر السمعاني: "فإن قَالَ قَائِل: (قد قَالَ): ﴿ سَاجِدِينَ ﴾ وَلم يقل "ساجدات" وَحقّ الْعَرَبيَّة فِي النُّجُوم أَن يُقَال: "ساجدات".

الْجَواب: أَن الله تَعَالَى لما أخبر عَنْهُم بِفعل من يعقل وَهُوَ السُّجُود ألحقهم بِمن يعقل فِي إِعْرَاب الْكَلَام فَقَالَ: ساجدين، وَلم يقل: "ساجدات" بِهَذَا"[٣].

المثال الرابع: تذكير "اللاعنون":

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ١٢٣/٢٤.

(٢) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٢١٠/٢ – ٢١٦، بتصرف يسير.

(٣) تفسير القرآن للسمعاني: ٧/٣، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة، ص: ٤٩.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٩)، حيث قال الله تعالى: "اللاعنون" دون اللاعنات لأنه أسند إليها اللعن وهو من فعل العقلاء لذا جاء اللفظ مذكرًا.

وقد فصَّل الطبري هذا السر فقال: "فإن قال لنا قائل: ومَا وَجْهُ الذين وجَّهوا تأويلَ قوله: "ويلعنهم اللاعنون"، إلى أن اللاعنين هم الخنافسُ والعقارب ونحو ذلك من هَوامِّ الأرض، وقد علمتَ أنّها إذا جَمعتْ مَا كان من نَوع البهائم وغير بني آدم، فإنما تجمعه بغير "الياء والنون" وغير "الواو والنون"، وإنما تجمعه بـ "التاء"، وما خالفَ ما ذكرنا، فتقول: "اللاعنات" ونحو ذلك ؟

قيل: الأمر وإن كان كذلك، فإنّ من شأن العرَب إذا وصفت شيئًا من البهائم أو غيرها – مما حُكم جَمعه أن يكون بـ "التاء" وبغير صورة جمع ذُكْرَانِ بني آدم – بما هُو منْ صفة الآدميين، أن يجمعوه جمع ذكورهم، كما قال تعالى ذكره: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ (فصلت: ٢١)، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بني آدم، إذ كلَّمتهم وكلَّموها، وكما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (النمل: ١٨)، وكما قال: ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف: ٤)[(١)].

المثال الخامس: تذكير الليل والنهار والشمس والقمر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٣). حيث قال تعالى مخبرًا عن الليل

(١) جامع البيان: ٢٥٦/٣، وراجع: مفاتيح الغيب: ٤٦٣/٢.

والنهار والشمس والقمر بأنهن: "يَسْبَحُونَ" بالتذكير وليس "يسبحن" أو "تسبح" بالتأنيث لأنه لما أُسند إليها السبح وهو من فعل العقلاء ذُكِّرت.

وقد ذكر النحاس هذا السر فقال: "قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٣)، فيه من النحو أنه لم يقل: يسبحن ولا تسبح، ومذهب سيبويه أنه لما خبّر بفعل من يعقل، وجعلهنّ في الطاعة بمنزلة من يعقل خبّر عنهن بالواو والنون، وقال الفراء: لمّا خبّر عنهنّ بأفعال الآدميين قال: يسبحون، وقال الكسائي يسبحون لأنه رأس آية، كما قال: ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴾ (القمر: ٤٤)، ولم يقل منتصرون"[(١)].

والخلاصة: أن أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم كثيرة أهمها:

التغليب، سواء أكان تغليب المذكر على المؤنث في سياق المدح، أو الذم، وحمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث، وكَوْنُ تأنيث اللفظ مجازيًا، واكتساب المؤنث التذكير من المذكر، والفصل بين الفعل وفاعله بفاصل، والفصل بين الفعل وفاعله بـ إلا، وتقديم فعل المؤنث على فاعله، ووقوع الضمير أو اسم الإشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث، وكَوْن اللفظ اسم جنس، وقصر الصفة على الموصوف، ومراعاة الفواصل، ومجيء اللفظ على صيغة المصدر، ووورد اللفظ على صيغة اسم الجمع، ووورد

(١) إعراب القرآن: ٣/٥٠.

اللفظ على صيغة جمع القلة، وإضافة الاسم الموصوف إلى مذكر، وإجراء غير العاقل مجرى العاقل في الخطاب،

ولا شك أن هذه الأسرار كلها لها أثر كبير في إبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز البياني حيث عدل القرآن الكريم في كثير من آياته عن التأنيث إلى التذكير لسر من هذه الأسرار البديعة تنويعًا في الأسلوب مع قوة اللفظ وإحكام النسج ومتانة المعنى، وأحيانًا نجده يذكر اللفظ مؤنثًا على الأصل في موضع أو مواضع، ويعدل عنه إلى التذكير في موضع أو مواضع أخرى تفننًا في العبارة حتى لا يمل القارئ أو السامع عندما تقرع آذانه عبارات متنوعة وأساليب متنوعة وهو وإن كان في ذلك جرى على سنة العرب في كلامهم مع اختلاف في قوة الأسلوب وجزالة الألفاظ وتصوير المعاني بصورة بديعة إلا أنهم عجزوا عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله وفي هذا مزيد من التحدي والإعجاز لهم.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فهذا بحثي سطرته بيدي، بعد أن طوفت حول كتب التفسير وعلوم القرآن للتنقيب عن أسرار العدول عن التأنيث إلى التذكير في القرآن الكريم، وقد ذكرت كثيرًا منها وصلت إلى ستة عشر سرًا، معظمها جمعته من كتب التفسير؛ لأن كتب علوم القرآن لم تذكر إلا القليل من هذه الأسرار – على حد علمي – وعدَّدت بعض الأمثلة من القرآن الكريم على كل سر من هذه الأسرار، واستشهدت عليها بما ذكره علماء التفسير وعلوم القرآن في كتبهم و – أيضًا – ببعض ما أورده أهل المعاني واللغة في هذا الشأن.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج منها ما يلي:

نتائج البحث:

١- أن الأصل في الألفاظ التذكير، وتذكير المؤنث رد فرع إلى أصل.

٢- أن تذكير المؤنث باب واسع وشائع في اللغة العربية.

٣- أن القرآن الكريم جرى على سنة العرب في تذكير المؤنث لأنه نزل بلسانهم، مع بلاغة الأسلوب، وفصاحة العبارة، وإحاكم النسج، وقوة المعنى.

٤- التأكيد على إعجاز القرآن الكريم البياني وتميزه في تراكيبه وأساليبه.

٥- أن تذكير المؤنث لم يرد في القرآن الكريم إلا لحكمة بليغة وأسرار عجيبة: لفظية كانت أو معنوية، أشهرها التغليب، وحمل اللفظ، وكون تأنيث اللفظ مجازيًا وغير ذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قائمة بالمراجع والمصادر

١- الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ: ١٩٧٤م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢- أسرار التكرار في القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة، ط: الثانية ١٣٩٦هـ، تحقيق: عبدالقادر احمد عطا.

٣- إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن يونس المرادي النحوي، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ.

٤- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩١م، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي عيد عبد الله بن عمر البيضاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد المرعشلي.

٦- بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، دار الفكر، بيروت.

٧- البحر المحيط في التفسير لأبي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠هـ، تحقيق صدقي محمد جميل.

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد ابن المهدي بن عجيبة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية ٢٠٠٢م ١٤٢٣هـ.

٩- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٠- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، ط: الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١١- البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيِّ، سورة يوسف دارسةً وتحقيقًا، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إبراهيم عناني.

١٢- بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، الناشر: مطبعة الترقي، دمشق، ط: الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٥م.

١٣- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

١٤- تغليب المذكر على المؤنث في الخطاب القرآني، دراسة في شبهة تمييز الرجل على المرأة، محمد أبو زيد، متاح على هذا الرابط:
https: vb.tafsir.net: tafsir28376: #.XZo9HKhvbIU

١٥- التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ.

١٦- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير أبي الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

١٧- تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٨- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

١٩- التفسير المظهري للمظهري، محمد ثناء الله، الناشر: مكتبة الرشدية، الباكستان، ط: ٤١٢هـ، تحقيق: غلام نبي التونسي.

٢٠- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف ابن تاج العارفين المناوي، الناشر: عالم الكتب، تحقيق: عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٢٢- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد الردوني.

٢٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار

طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٤- حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبي زرعة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، تحقيق: سعيد الأفغاني.

٢٥- دراسات لأسلوب القرآن لمحمد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

٢٦- الدر المصون في علم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الناشر: دار القلم، دمشق، تحقيق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط.

٢٧- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

٢٩- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط: الثانية ١٤٠٠هـ.

٣٠- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

٣١- شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط: الثانية ١٩٨٥م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٣٢- شرح المفصل للزمخشري ليعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا، أبي البقاء، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٣٣- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، تحقيق: خالد عثمان السبت، ط: الثانية ١٤٢٦هـ.
٣٤- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، الناشر: جامعة صاقريا، كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، عام النشر: ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٣٥- غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٣٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.
٣٧- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا بن محمد

ابن أحمد بن زكريا الأنصاري، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، تحقيق: محمد علي الصابوني.

٣٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، الناشر: دار النوادر، ط: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، نور الدين طالب.

٣٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير لمحمد ابن علي الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ.

٤٠- فقه اللغة وسر العربية لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، الناشر: إحياء التراث العربي، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٤١- قواعد اللغة العربية (الكفاف) ليوسف الصيداوي، دار الفكر، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٢- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

٤٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.

٤٤- الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ط: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور.

٤٥- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ط: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض.
٤٦- مبادئ قواعد اللغة العربية، علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف، الناشر: مكتبة الفيصل، شاهي جامع مسجد ماركيت، اندرقلعة، شيتاغونغ، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٤٧- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة، ط: ١٣٨١هـ، تحقيق: محمد فواد سزگين.
٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) لأبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، تحقيق: يوسف علي بديوي.
٥٠- المذكر والمؤنث لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، لجنة إحياء التراث، سنة النشر: ١٤٠١هـ ١٩٨١م، تحقيق: محمد عضيمة.
٥١- المذكر والمؤنث لأبي الحسين أحمد بن فارس، ط: الأولى، القاهرة ١٩٦٩م، تحقيق: د/ رمضان عبد التواب.
٥٢- مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد

ابن مختار القيسي القرطبي المالكي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٥هـ، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن.

٥٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لأبي محمد الحسين ابن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

٥٤- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المرمة، ط: الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني.

٥٥- معانى القرآن لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م، تحقيق: الدكتورة/ هدى محمود قراعة.

٥٦- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرين، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط: الأولى.

٥٧- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥٩- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٦٠- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، فخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ.
٦١- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.
٦٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٣- النحو الوافي لعباس حسن، الناشر: دار المعارف، ط: الخامسة عشرة.
٦٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: أ.د/ الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.